Rimak International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSN: 2717-8293

Amal Mohammed Abd AL-Kareem ALABDULLAH[1]

STRANGENESS OF WORDS IN THE POETRY OF BADR SHAKIR AL-SAYYAB

Research Article

Received:
18/07/2020
Accepted:
15/08/2020
Published:
01/09/2020

This article has been scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

It is known that poetry language is the first entrance which the poet establishes his artistic vision hasing humanitic character .
Then he builds symbolic, imaginative and subjective ideas and he mixed them with his real world to produce new ideas represent the relationship between the self and society . Therefore the Poet Badr Shakir Al-Sayyab was psychologically affected by the social reality which he was living and he expressed about this in his poetry . So we find strangeness of the words are clear and plain in his poetry where the poet created in choice of strange words almost overwhelm in his poetry and he was affected a noticeable impact by these words In spite of multi studies which indicated Al- Sayyab and his poetry but they remain deficient because of the life of this poet still has dark stations are not discovered yet . Poets may meet in this case where they suffer from not clearly defined projections in their life and most of them don't desire declaration for different reasons.

Key words: Words, Poet, Al Sayyab.

[1]Dr. , Basrah University, Iraq, amalmhmd551@gmail.com

غرابة الألفاظ في شعر بدر شاكر السياب

أمل محمد عبد الكريم العبدالله [2]

الملخص

من المعروف أن لغة الشعر هي المدخل الأول الذي يؤسس عليه الشاعر رؤيته الفنية ذات الطابع الإنساني، إذ من خلالها يبني أفكارا موضوعية تخيلية ورمزية يدمجها مع عالمه الواقعي لينتج تحولات جديدة تمثل العلاقة بين الذات والمجتمع .

من هنا كان الشاعر بدر شاكر السياب متأثرا نفسيا بالواقع الاجتماعي الذي كان يعيشه، وقد عبر عن ذلك في شعره ، فنجد غرابة الالفاظ التي استعملها الشاعر واضحة وجلية إذ أبدع في اختيار ألفاظ غريبة تكاد تطغى في شعره وتأثر بها تأثيرا ملحوظا.

على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت السياب وشعره، إلا أنها تبقى قاصرة فحياة الشاعر ما زال فيها محطات معتمة لم يكشف لها النقاب بعد، وربما يلتقي الشعراء في هذا الجانب يعانون في حياتهم من اسقاطات ليست واضحة المعالم والكثير منهم لا يرغبون التصريح لأسباب مختلفة

الكلمات المفتاحية: ألفاظ، شاعر، السياب.

[2] أ.م. د.، جامعة البصرة، العراق، amalmhmd551@gmail.com

المقدمة:

زخر الشعر العربي منذ عصوره الأولى بألفاظ وعبارات غريبة وصعبة، واعتبرت موضوعا من الموضوعات الشعرية استطاع الشعراء أن يعبروا في أشعارهم بألفاظ غريبة خارجة عن المألوف، وكلنا على علم بالشعر الجاهلي وكيف كانت ألفاظه غريبة إلى حد ما لكنها مع ذلك تصل إلى الهدف، ويستطيع الشاعر من خلالها أن يجيد بشعره ويتميز به على الرغم من تلك الألفاظ الغريبة

ثم بعد ذلك جاء الشعر الحديث مرورا بالعصور الشعرية التي نما فيها الشعر وتطور وقويت قاعدته الأساسية إلا أن تلك الألفاظ لم تكن تفارقه ولا تحيد عته، لنصل إلى شاعرنا السياب الذي نحى منحى أساتذته في الشعر واختار من الألفاظ الغريبة ما اختار، ويبدو ان السياب قد تأثر بوضعه الاجتماعي الذي وصفه بالحرمان والعوز بالإضافة إلى وضعه السياسي الذي كان يعيشه، وحياة الغربة التي انزوى تحتها ربما كانت السبب الأساسي في بناء شعره على هذه الصورة والتي شكلت عنوان بحثنا هذا.

فلا بدّ لتلك الظروف والمسببات أن تشكل خصائص وسمات شعرية وان تتساوق مع ضرورة انغماس الشاعر واقع مجتمعه ومعاناته وتطلعاته وافكاره بشكل يجعله قادرا على تمثل روح العصر والإبداع في الشعر، والشاعر في ذلك أيا كان هو نتاج ظروفه الاجتماعية التي يعيشها والتي أثرت بشكل ملحوظ على شعره، وهذا دليل على صدق مشاعره وأحاسيسه وثقافته الاجتماعية التي كان عليها.

ذهب علماء النفس ان التغيرات التي يتعرض لها الفرد تحدث تغيرات في شخصيته ونموه واسقاطات أخرى يظل يعاني منها طيلة حياته. وفقدان السياب لأمه سبب عنده هذا الكبت النفسي وهو شعوره أنه فقد شيئا ويمكن تعويضه عن طريق استرجاع الصور بين الحين والآخر، وفعلا استذكر بدر ملاكه المفقود وحبيبته الغالية التي ضمته إلى صدرها الدافئ وهو يخاطبها قائلا (1):

ويسالون الليل عنك وهم لعودتك في انتظار؟
الباب تقرعه الرياح لعل روحا منك زار
هذا الغريب هو ابنك السهران يحرقه الحنين

سنحاول في هذا البحث الاقتراب من تلك المحطات الحزينة والألفاظ الغريبة للوصول إلى الحقيقة، ولعل ذلك هو السبب في اختيار الموضوع والتي تعود إلى سببين هما:

- الأول: الفكرة الجديدة
- الثاني: ما كان يعانيه الشاعر من جوانب نفسية داخل وخارج أسرته وانعكاساتها على شعره.

جاء تقسيم البحث إلى ثلاث مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالشاعر وأسلوب شعره.
- المبحث الثاني: تأثر السياب بالشعر القديم.
- المبحث الثالث: استعماله لألفاظ معجمية قديمة.

المبحث الأول: التعريف بالشاعر وأسلوب شعره

لا نريد ان ندخل في تفاصيل حياة الشاعر وطفولته، فالكتب والبحوث غنية بذلك، إلا أن هناك طرفة أود أن أذكرها في هذا المبحث، وهو أن الشاعر أحد أبناء قريتي التي ولد فيها الشاعر وترعرع في بساتينها، وكنت قد زرت بيته مرات عديدة كسفرات علمية مع الطلبة ووجدت فيه أرجاع للذكريات التي كان يعيشها السياب آنذاك. ثم أنني ذهبت إلى أحد أصدقائه والتقيت معه حيث لا زال على قيد الحياة، وهو الأستاذ والمربي الفاضل (ياسين صالح العبود) ليشرح لي عن حياة الشاعر الصعبة التي كان يعيشها وهو يتيم الأم وقد تركه والده ليتزوج بامرأة أخرى ويعيش السياب وأخوته في رعاية جده وجدته، ثم سألته عن طبيعة الشاعر في المدرسة وعلاقاته مع زملائه التلاميذ؟ فأجابني: أن السياب كان مشاكسا وذكيا، يمزح، ويلعب مع زملائه، ذو عاطفة جياشة ومشاعر مرهفة، ينطق بكلمات أكبر من عمره، يدمدم بأبيات شعرية وقصائد تعبر عن واقعه الاجتماعي المؤلم وهو يعيش الحرمان، على الرغم من أن جده لم يبخل عليه شيء إلا أنه كان يفتقد إلى حنان الأم، ثم تبعه حنان الأب.

كبر السياب وتعانق أكثر مع بساتين وانهار جيكور وبدأت ملامح الشباب تظهر عليه، يقرأ ويتأثر بالشعراء في العصور الشعرية التي سبقت عصره، تأثر بلغتهم وربما كان هذا السبب الأول لغرابة الألفاظ التي جاءت في شعره، ثم أن السبب الآخر هو وضعه الاجتماعي الذي كان يتصف بالحرمان وطبيعة الحياة الريفية التي كان يعيشها الشاعر هي التي قادته إلى سوق تلك الألفاظ خلال فترة شبابه، ثم بعد ذلك سفره لإكمال دراسته وهجرته من قريته وانتقاله إلى العيش في المدينة أثر تأثيرا عميقا على شعره وجعله يختار من الألفاظ التي تبعث في نفسه ويتأثر بها.

بعد ذلك انتقل من مرحلة صغيرة إلى مرحلة كبيرة إذ ساهم في النهوض بالقصيدة العربية ورسم لها دربا ليعبر بها عن قضيته الإنسانية النبيلة. ((فالقصيدة العربية لم تعد قائمة على الانفعال فحسب، بل أصبحت رمزا واسعا يحمل هواجس النفس الإنسانية وعرضا لهموم الفرد كالفقر والجوع))(2).

هذا التحول الواسع في حياة السياب قد حول أغلب قصائده إلى قيمة ثرية غنية بالدلالات ونقطة انسجام بين القديم والحديث، يسعى دائما إلى اختيار الكلمات الدقيقة والألفاظ الموحية ليوصل إلى مبتغاه. صنع من تجربته وما عاشه في بيئته وحياة التنقل من مكان إلى آخر ومن سرير إلى سرير في مستشفيات العالم نمطا حسيا مميزا في صنع الألفاظ الغريبة وتوظيفها لأشياء كثيرة لم تكن موظفة كما وظفها السياب في تجربته الشعرية ومنها (الأسطورة والأمكنة وهاجس الداء الذي يسكنه ولا يكاد يفارقه).

من تلك المحفزات الثلاث أنشأ السياب عالمه الخاص الخليط بين دهشة الصور ودموع المراثي وبلاغ الصوت، الصوت الشعري داخل التفعيلة والجديد فيها (3). يطغى طابع الحزن والكآبة على مشاعره التي سكنت جسده وتفكيره بحياته المعيشية الصعبة كل ذلك دفعه إلى الكتابة بهذا النمط من الشعر (شعر الألفاظ الغريبة) ألفاظ متألمة ممتلئة بالرجاء والمناداة والتوسل في بعض الأحيان، ثم اختار من الألفاظ الغريبة ما اختار لعله يصل بذلك إلى تهدئة انفاسه وارتياح أحساسيه متآزرا بشتى أنواعها، لم يصطنعه بل تشابك في أعماق روحه بفعل مقدرات حياتية ونفسية لا تحصى ابتداء من العوز وانتهاء بصورة الوجه.

ربما هذا الحزن الذي يمكن أن نصفه (بالحزن الدائم) هو ردة لفعل أشعاره وخاصة ألفاظه الغريبة التي عبرت عن تلك الحالة، لم يكن السياب راضيا على تعامل المجتمع معه، فكان لا يملك الحول ولا القوة سوى تلك المناجاة مع نفسه ومع الرموز الأسطورية أو مع اناث تعلق بهن لكنه لم يحصل على أي واحدة منهن. والقصائد في مثل تلك المواقف كانت حاضرة لعل أقربها هي (شباك وفيقة) أقرب دلالة وأشهرها صنعت في روحه الحزن والعلة يقول(4):

أطلي فشباكك الازرق سماء تجوع.. تبتنه من خلال الدموع
كأني بي ارتجف الزورق.. إذا انشق عن وجهك الاسمر
كما انشق عن عشتروت المحار.. وسارت من الرغو في مئزر
فقي الشياطين اخضرار.. وفي المرفأ المغلق تصلي البحار
كأني طائر بحر غريب طوى البحر عند المغيب.. وطاق
بشباكك الأزرق

في تلك العبارات الرنانة التي اختارها الشاعر كانت وفيقة حاضرة قصدها الشاعر في أبيات قصيدته وضرب قلبه على شكل سمفونيات رومانسية من عذوبة شعر بث فيه لواعجه إلى كل نظرة عميقة تحدق إلى قصيدته، فكان يأتي بألفاظ غريبة أو بألفاظ قريبة من الواقع جدا وتأثر بتلك الفتاة التي دفعته إلى كتابة تلك الألفاظ، إذ إن وفيقة (مقعدة) كأنها مشلولة وذلك لجلوسها الدائم امام الشباك ولم تمارس حياتها الطبيعية كباقي البنات في القرية، وموتها المبكر شكلت هذه الأسباب مجمل ذكريات في حياة الشاعر، وحينما غادر قريته مبكرا وعاد متأخرا وجدها ميتة (5). تلك الدلالة التي جاء بها الشاعر عبرت عن دلالة محدودية الفاعلية الإنسانية مع تقييد مقصود لتلك الفاعلية. فهذه الظروف التي عاشتها وفيقة والظروف التي مر بها السياب جمعت تخيلات في نفسه اتسعت من خلالها رؤية متبادلة رسمها السياب وحاول ايصالها إلى المتلقي. رسم صورة التبادل ومسافة النظر بين الرائي والمرئي وما جسور الوصل هذه إلا – الحب – ببعده التخيلي ولأن وفيقة هي بعد غائر يرسب شيئا فشئيا في طبقات الشعور والذاكرة والفكر وهي حين تغور تأخذ بعدها (الأيكولوجي) في اروقة الذات الشاعرة وهي قد شكلت بنى ارتكازية في حياة الشاعر(6).

نلحظ في أبيات القصيدة تكرار كلمة - وفيقة – التي اعتبرها الشاعر رمزا اسطوريا في ذهنه رسم مخيلاته وأحاسيسه ومشاعره من أجلها صورها تصويرا فنيا رائعا، تلك الأسطورة قد رحلت مبكرا وقد وجد فيها ((الطاقة الرمزية التي تعينه على تحقيق ما يود قوله، في الوقت الذي تبعد عنه كل ما قد يسيئ إليه أن يصرح وأزرى بالواقع مجاهرا)) (7).

من هنا كانت الأسطورة عنده أداة للتعبير الشعري الذي يقوم على الرمز والإيحاء وأنها شكل أصيل من أشكال الإدراك الإنساني والحضارة الإنسانية، برزت وفيقة / رمزا أسطوريا فهي تصيح (عشتروت) وهي تنشق من محارتها طالعة بوجهها الاسمر فكلاهما ينبعث من البعيد وينفض عنه ركام التاريخ ويتبادلان الادوار في مخيلة السياب بين عشتار اله الحب عند البابليين وبين السياب ووفيقة، يقول:

لم تزل ترقب بابا عن اطراف الحديقة ويحها..
ترجو ولا نرجو وتبكيها مناها:
ترهق السمع إلى حفيف
لو اتاها
لو طال المكث في دنياه عاما بعد عام
دون ان يهبط في سلم ثلج وظلام

ننظر إلى كلمات الشاعر الرنانة والتي ألقت على مسامعنا كأنها قصة يرويها بسمفونية لوحة رسمها في مخيلته والقاها إلينا، ظهرت حدائق وفيقة حيث تحولت إلى مهيمن روحي استطال في تأثيره السحري وتشرب شرايين الحياة (المتخيلة والواقعية)، وبدت أنها روح أثيري يجوب ممالك الشاعر فيبعث فيها إنتشاء ورغبة للحياة، فهي تظل غاية غير مدركة في خيالات الشاعر، وتسربت مفاصل حياته الشعورية والشعرية، بل إنها تضامنت في أعماقه حتى ليالي السهاد الاخيرة.

وصف أبعد من الخيال استخدمه الشاعر بهذه العبارات الغريبة والمرسومة في ذهنه وإدراكه، فهي– وفيقة – خيط لامع في نسيج التجربة الشعرية لديه وهي شيء أضاعه عند الصبا لكنه ما زال مشعا في دواخله وصولا لصحوته ويقينه المطلق.

هيهات ان ترجعي من سفار
وهل ميت من سفار يعود؟

رسم صورة غريبة بألفاظ غريبة يدرك تماما أن وفيقة لا تعود، رؤية متجددة رسمها الشاعر وهي صعبة المنال، هي وجه وذكرى وحلم يطل من الشباك ويملأ عطرها إفياء الحديقة هي شحوب دامع وابتسام واقف من ضياء وظلام.

تتكرر العبارات والصور الغريبة في مخيلة السياب حين أضفى على النص صفة الشمول الإنساني المتدفقة وأعطاها أبعادا تتخطى خانات التقابلات الجامدة. ليعود بعد ذلك إلى نقطة البدء إلى الشباك وهو الحيز المكاني الذي تجلس عنده وفيقة ربطت عنده دار جده وقريته جيكور وكل ما حوله من نخيل وأشجار، ذاك الشباك امتلك القدرة التفجيرية التي تتوهج إشعاعاتها في نفس الشاعر ليصور لنا مشهدا غريبا وبألفاظ غريبة عن وفيقة التي لن تعود.

مثل تلك الألفاظ الغريبة نجدها في قصيدة غريب على الخليج التي يقول فيها:

الريح تلهث بالهجيرة، كالجثام، على الأصيل
وعلى القلوع تظل تطوى أو تنشر للرحيل
زحم الخليج بهن مكتدحون جوأبو بحار
من كل حاف نصف عاري
وعلى الرمال، على الخليج
جلس الغريب، يسرح البصر المحير في الخليج
ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج
أعلى من العباب يهدر رغوه ومن الضجيج
صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى عراق

كالمد يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون
الريح تصرخ بي عراق
والموج يعول بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق
البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك يا عراق (8)

تعتبر هذه الجزئية المقتطعة من قصيدة (غريب على الخليج) حروف صادقة عبرت عن الألم والشوق اللذان يعتصران قلب السياب، وهو يشعر بحرقة البعد عن وطنه، الذي أحبه بطريقة مخيفة بطريقة لا تتقبل فكرة الخيانة بتاتا، لا تتقبل الفكرة قبل الفعل، أحبه كما تحب الأم ابنتها وكما يحب العاشق معشوقته. ربما قادته تلك الغربة أن يختار من الألفاظ الغريبة ما يختار ليكمل بها غربته وأن يعبر عن خوالج نفسه بتلك الألفاظ الغريبة التي يحس بها وهو في بعد عن وطنه، نحج بصدق في ربط عاطفتي الأمومة والعشق بحق الوطن فانتج أجمل قصائده وأكثرها تاثيرا في نفس القارئ، فهو يشعرنا بالحس الإغترابي (9).

فالحالة النفسية البائسة التي عكست على شعره ليسقط الشاعر حالته على الطبيعة، فتبدأ القصيدة بعكس الحس النفسي الذي يعاني من الأرق والتعب عل بعض أجزاء الطبيعة، ففي الأبيات السابقة تبدأ ذات الشاعر مؤرقة نفسيا وجسديا من الغربة وتشخص هذا الأرق على مظاهر الطبيعة حين بدأ بألفاظ الوحدة والإنطوائية حيث قال:

جلس الغريب... ثم يذكر وطنه لكي يخفف من حياة الغربة التي يعيشها، ويكررها (عراق) ظنا منه أن بذكر لفظة (عراق) سوف يعود أو سوف يلتقي ويعانق العراق، ثم يستدعي ذلك الحس النفسي الذي دفعه إلى الخروج من سيطرة اليأس والسأم عليها لكن لم ينجح بذلك، فالتذكير يؤجج الحس الإغترابي لديه، ثم بعد ذلك يشعر بأنه صلب نفسه نتيجة البعد عن الوطن، والصلب يرتبط بدلالات نفسية عدة أهمها:

الإحباط واليأس (لأن الصلب انتحار)

والإغتراب الداخلي (التوحد في الذات أو الإستوحاد (10).

يقول السياب:

وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه (11)

نلحظ كلمة (يجر) وما تعكسه من دلالات (فالجر) هو المعاناة والعذاب النفسي الذي يشعر به، وفي الوقت نفسه يعكس التثاقل وعدم القدرة على الحمل لأنه مهزوم من الداخل ومحطم. ويقول:

ما زلت أضرب، مترب القدمين أشعث، في الدروب

هذا جعله أكثر مأساة ومعاناة لا يعرف ما هو هدفه ومإذا يريد:

تحت الشموس الأجنبية
متخانق الأطمار، أبسط بالسؤال يدا ندية
صفراء من ذل وحمى: ذل شحإذ غريب
من العيون الأجنبية
من احتقار وانتهار وازوارا... أو خطية
والموت أهون من خطية (12)

نرى في الأبيات السابقة أن الشاعر قد عكس صورة بائسة عن حالته النفسية المتحطمة فاختار من الألفاظ ما اختار حتى عكس ذلك الحال الذي يعيشه، فانعكست الحالة النفسية على حالته الجسدية وأثرت سلبا عليها. فنرى غرابة الألفاظ في متخانق الأطمار يقابلها يدا ندية، صفراء من ذل وحمى لأنها تستجدي من الناس وهي العيون الأجنبية. هكذا عبر السياب عن إنحباطه ولوعته.

ثم بدأ يدافع عن الألم والانكسار:

احتقار... انكسار ... ازوارا... جميعها صفات لأنسان عاجز بائس (خطية) ثم نهاية الموت تكون أهون عليه من خطية.

بذاك الأسلوب وبهذه الألفاظ الغريبة نجد الشاعر قد صور أبياته ووضعها موضع الغريب في كل حياته، وشعره، وكل ما يحيط به.

المبحث الثاني: تأثر السياب بالشعر القديم

تأثر السياب تأثرا كبيرا بالعناصر القديمة والمتمثلة بالقران الكريم والشعر القديم واستعماله لألفاظ معجمية غريبة بشكل لا يضاهيه شاعر قديم أو محدث من ناحية، ومن ناحية أخرى العناصر الجديدة والظواهر غير المألوفة على اللغة القديمة، والكثير من المألوف في لغة أدب الحديث، نتيجة لذلك فقد تأثر بشعراء أسبق منه وسار على نهجهم في نسج الشعر، إذ تأثر بالبحتري والمتنبي، وأبو تمام وغيرهم كثير نلحظ التأثير من خلال المقارنة بين الشعراء الذين سار على نهجهم وبين شاعرنا، كما أنه تأثر كثيرا بالشعر الجاهلي وأخذ من شعراءه ما أخذ على الرغم من صعوبة ألفاظه وغرابتها إلا أن السياب قد تأثر كثيرا بهم وقتبس الكثير من ألفاظهم، فقد تأثر بالشاعر عمر بن ابي ربيعة يقول:

ومخضب رخص البنان كأنه غنم (13)

ويقول النابغة:

بمخضب رخص كان بنانه
عمن يكاد من اللطافة يعقد (14)

ويقول السياب لكن بطريقة حضرية أكثر:

جاءتك ظمأى بالبنان الرخص تغترق المياه (15)

حيث أشار الشاعرين الجاهلين إلى رخص البنان وشبهوه بالغنم، في حين أن السياب صوره بالظمآن الرخيص. وهذا ما يشار اليه بغرابة الألفاظ.

ويقول النابغة:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب (16)

ويقول السياب:

فتى ما جنى ذنبا سوى أنه انتضى
حساما بوجه الظلم ما لأن جانبه (17)

فقد استعمل المدح بما يشبه الذم (ما جنى) على صيغة (ما افعل). وكثيرا ما تأثر السياب بالشعر القديم واستفاد منه، وقد أجرى الشاعر بعض التغير على الأصل لكن الروح القديمة والمعنى القديم بقيا ظاهرين فيه

يقول السياب:

الليل طال، وما نهاري حين يقبل بالقصير (18)

وهذا ما أنشده امرؤ القيس عندما طال عليه الليل:

ألا يا أيها الليل الطويل ألا انجل
بصبح وما إلا صباح منك بأمثل (19)

فهو يتبرم بالليل ويطلب منه أن يزول، وأن الصباح ليس بأفضل من الليل، لأن الهموم ملازمة له ليلا ونهارا.

بينما السياب يجده – الليل والنهار – متساويان في الطول وفي الهم، فهذا وصف غريب لا يمت بالحقيقة بشيء إلا من وجهة نظر السياب.

وتأثر السياب بالشاعر الحطيئة في اعتذاره لعمر:

مإذا تقول لأطفال بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر (20)

ويقول السياب:

لا طعم منه زغبا يطلبون الزاد في قر
العشيات الشتائية (21)

يبدو أن كلمة (زغب) ألحت على السياب فاستعملها في مكان آخر وهو إذ يشبه نفسه بطير رمي يجر الجناح عشه، سبحا وفيه زغب جياع، ويعني بهم أولاده: زغب جياع يصرخون على بعد، فالمعنى القديم بقي ظاهرا عنده متأثرا بالشعر القديم. إذ حفظ منه الكثير وهضمه ورصع بيه ديباجة شعره بصورة مباشرة وغير مباشرة، حيث تأثر تأثيرا واضحا بالأسلوب في مجموعة
(البواكي) التي ألفها، في حين نجده على مستوى التراكيب قد تأثر كثيرا بالشعر العباسي، وكان مقتنعا بالتضمين على طريقة – أيليوت – إذ إن التضمين عنده له علاقة واعية مع القديم وفيه إثراء للتجربة وتعميق للمعنى (22).
أما تأثضره بالشعراء العباسيين فقد ألم في ذلك كثيرا وضمن من شعرهم الكثير، فقد تأثر بالبحتري عندما يقول:

أتاك الربيع الطلق يختا ضاحكا (23)

يستعمل السياب التعبير نفسه، والربيع الطلق، ويقول البحتري:

يفتقها برد الندى... والسياب يقول: كما تنفض الريح برد الندى

يمزج بين القديم والحديث، ويستفيد من القرآن والأغاني الشعبية ويضمنها، إلى جانب الكلمة الصعبة القاموسية يستعمل العامية الغريبة وهذا ما لاحظناه في شعره.

المبحث الثالث: الألفاظ المعجمية عند السياب

اللفظة عند السياب هي ركن مهم من أركان الجملة، إذ نراه كثيرا ما يتقيد بالأصول اللغوية ويستعمل الكلمات المعجمية وأحيانا أخرى نراه يتبع ظاهرة التجديد في اللفظة في صيغتها ودلالتها، لم ترد حتى في المعاجم، لذا اعتبره البعض من الدخيل، وأحيانا نجده يمزج ما بين القديم والحديث، فالسياب قاموس إبداعي خاص به هو بمثابة روح النص، إذ هو البناء الدال على خصوصية نصه الشعري ليس دلالة لفظية يمارس معها قلقه في مواضع شتى بل دلالة حصرية هو منزلها الأول في الجملة الشعرية، وإذا كان الشعر لغة في المقام الأول، فإن المعجم الشعري للشاعر هو الحارس الأمين على انتزاع أحقية البنية الأسلوبية التي يفرضها الشاعر على المفردات والألفاظ لشحنها بطاقة الذات (24).
ولعل أهم ما يميز شعر الشاعر أو مدونته الشعرية هو قدرته على اختراق المألوف، والإنصات إلى تحولات المفردة في سياق ما تنتجه من دلالات جديدة بمفردها، أو في احتضانها لمفردات أخرى.
والمعجم الشعري هو البناء الدال على خصوصية النص الشعري ليس دلالة لفظية يمارس معها قلقه في مواضع شتى بل دلالة حصرية هو منزلها الأول في الجملة الشعرية، وليس تكرار اللفظة هنا وهناك، بل الحرص على صيانتها التفاعلية والاحتفاظ بها بعيدا عن القوالب الناسخة (25).
لغة الشاعر وتأثره بالواقع الاجتماعي هو الذي يحدد كلماته الشعرية وبهذا يولد عنده ما يسمى - بالمعجم الخاص- الذي يتكون من كلمات تتوزع على قسمين:
الأول: قسم يحمل الكلمات العادية التي نعرفها جميعا بدلالاتها الشائعة أو العامة.
الثاني: وقسم يتكون من الكلمات التي ترتبط بحياة الشاعر ارتباطا خاصا.
تلك هي الكلمات التي تعبر عن معجم الشاعر. فالكلمة في النص الشعري كائن حي يولد من اعماق الشاعر ويحمل شيئا من تلك الاعماق، وعلاقة الشاعر بالكلمات لا تتساوى، فهناك كلمات تلتحم بحياته التحاما كبيرا، إذ ترتبط بذكريات ما، أو تشكل مفاتيح لتجارب معينة وهي تحمل معها دلالات تمتلئ برمزية خاصة بالشاعر بالإضافة إلى رمزيته العامة.
هكذا نجد السياب يتعامل في الكثير من قصائده بهذا الحال، وربما قصيدة (مرحى غيلأن) هي ما أثارت في نفوس الدارسين والباحثين هذا الأمر، صور السياب في قصيدته صورة المطر وبتكرار اللفظة (بابا) إحدى عشرة مرة، وقد تعمد أن يتخذ من هذا التكرار محورا تدور عليه أحداث القصيدة وتتعلق بيه بفضل ما أتاح له من

الشخصيات العاطفية التي تحملها كلمة (بابا) والتي تشبه في تأثيرها الموسيقي النفسي تعويذة الساحر ورقية العراق (26).

قال السياب في قصيدته مرحى غيلان:

بابا بابا
ينساب صوتك في الظلام، إلي، كالمطر الغفير
ينساب من خلال النعاس وأنت ترقد في السرير
من أي رؤيا جاء ؟ أي سماوة ؟ أي انطلاق ؟
وأظل أسبح في رشاش منه، أسبح في عبير
فكان أودية العراق
فتحن نوافذ من رؤاك على سهادي، كل واد
وهبته عشتار الأزهار والثمار (27)

استطاع السياب من خلال هذه القصيدة أن يحيك ثوبا رمزيا رائعا للتعبير عن نفسه، بحيث نجد سيطرة صورة الحزن التي رسمتها القصيدة في الألفاظ (بابا، الظلام، أي انطلاق، عشتار، الأزهار، الثمار) هي الأم التي لا يريد الإفصاح عنها، رسم بتلك الألفاظ صورة الحزن اختارها من معجمه الخاص وبثها على شكل قضية البعث، إذ هو لا يريد الموت بل أن تبعث له حياة جديدة، وحاول أيضا إبراز المضامين الوجدانية المتشائمة بمعجم حزين جسده في القصيدة مستفيدا من عناصر الطبيعة ومحاولا التأثير على المتلقي أما نفسه المنهارة اليائسة، حيث عمل على ترويض نفسه على الموت باعتباره هزيمة ونهاية لا مفر منها، فخرج في قصيدة (مرحى غيلأن) بمعجم شكله في ثلاثة حقول دلالية هي:

- الألفاظ الدالة على المكان: السرير، الأزهار، السماء، أودية العراق وغيرها.
- الألفاظ الدالة على الزمان: الظلام، العبير، أظل وغيرها.
- الألفاظ الدالة على الحزن: لها أرقد، السهاد، النعاس، السحاب، الغيوم وغيرها.

كل هذه الحقول تدل على النظرة التشاؤمية للشاعر والنواة الدلالية لمجموعة من قصائد السياب (28).

ومن قصائده أيضا التي جاءت فيها ألفاظ معجمية خاصة تصور واقعه المؤلم، قصيدة (أنشودة المطر) المليئة بالألفاظ الحقل الدلالي الحزين والتناقضات التي صنعها بالطباق، فهي تؤكد الحزن العميق الذي يعيشه الشاعر من خلال خوفه من شيء ما يحاصره والتي تظهر في عباراته اللفظية هذه. يقول:

دفء الشتاء فيه وارتعاشه الخريف
الموتى والميلاد والظلام والضياء (29)

يبدو أن السياب في هذه الأبيات بائسا من الحياة وقد عدت في نظره نتيجة الضربات الموجعة رمزا للحزن والألم فقط، فنراه يعدد الألفاظ (الموتى – الميلاد – الظلام – الضياء) كلمات متناقضة من واقعه المعجمي، واقعه المؤلم الذي يعيشه غربة، ألم، مرض، وفراق، صاغها بهذه الكلمات التي وزعها بشعره.

كذلك نجد في قصيدة (مدينة بلا مطر) يرسم لوحة فنية للمطر نظمها بكلمات متكررة وبتشبيه رائع، كل صورة فيه تحكي قصة، يقول:

سحائب مرعدات مبرقات دون أمطار
قضينا العام بعد العام بعد العام نرعاها
وريح تشبه الإعصار لا مرت كإعصار
ولا هدأت ننام نستفيق ونحن نخشاها
عيونك الحجار نحسها تنداح في العتمة
لترجمنا بلا نقمة
عذارانا حزانى ذاهلات حول عشتار
يفيض الماء شيئا بعد شيء من محياها
وغصنا بعد غصن تذبل الكرامة (30)

بدأ الشاعر يصارع الحزن بدأ بالتوجع والالم، لينتقل إلى الغضب والصراع، لكن ليستسلم للواقع والحزن العميق الذي يدب في نفسيته، فقد كانت صورة المطر مرة أخرى رمزا للألم (31).
فالقصيدة من عنوانها جاء بها الشاعر بأسلوب النفي (مدينة بلا مطر)، فلا يكاد يذكر المطر إلا وتداعت إلى الأذن تلك الأنشودة التي نظمها السياب بكل ما يحمله المطر من دلالات تحيط بهذه اللفظة منها: الخصب، والحياة، فجاء بقصيدته تلك لتعج بالألفاظ المطر، إذ نجده يعزف على سيمفونية نفسه لكن بأسلوب مختلف، فهذه المدينة اقفرت من كل مظاهر الحياة والخصب، فالسحب ترفرف في سماءها لكن دون أمطار، والناس خائفون حيارى جياع، جوع وخوف وعدم الشعور بالأمن، لذا أضحت النساء عذارى ذاهلات حول عشتار (إلهة الأنوثة والحب) ما من أحد يبدد ذهولهن، فهذا النفي يلغي كل أسباب الحياة الممكنة على أرض هذه المدينة (32).
يقول بعدها:

ولكن مرت الأعوام، كثرا ما حسبناها
بلامطر، ولو قطرة
ولا زهر، ولو زهرة
بلا ثمر – كان نخيلنا الجرداء أنصاب أقمناها
لتذبل تحتها ونموت (33)

الحياة عنده منعدمة يستحيل العيش على أرض بلا مطر ولا زهر ولا ثمر، أذن موت وأذبال، لتبقى المدينة ساهرة تقاسي همومها وأحزانها وهي نفسها أحزان الشاعر، فهي تظهر في كل ركن من أركان القصيدة، وألم يطل في كل صوت يبثه السياب في لفظة المطر، هي أحزان تلبسها الألفاظ لتعكس عمق الألم الذي يعيشه.
نجد ذلك واضحا في كثير من قصائده، فقصيدة (نسيم من القبر) اصطنع فيها السياب ما يعرف بإيقاع اللحن اصطنع فيها السياب ما يعرف بإيقاع (اللحن الجنائري)(34)، وذلك يدل على الحنين والبكاء، والحنين إلى الموت، ويكون فيها الحقل الدلالي للقصيدة تجسيدا لذلك.
يقول السياب:

بما نفثته كالآهات من جيكور يأتيني فيبكيني
بما نفثته أمي فيه من حب وأشواق
تنفس قبرها المهجور عنها قبرها الباقي
على الأيام يهمس بي تراب في شراييني
ودود حيث كان دمي وأعراقي
هباء من خيوط العنكبوت وأدمع الموتى
إذا أدركوا خطأيا في ظلام الموت: ترويني
مضى أبد وما لمحتك عيني (35)

نلحظ في الأبيات السابقة كلمات غريبة متثاقلة الحركات وبطيئة، كما نلحظ حركات مد طويلة أو مكسورة، فتاتي في صيغة أنين متصل (يأتيني، يبكيني، أشواق، شراييني، اعراقي، ترويني) كلمات حزينة نتيجة ضعف الشاعر وفقدانه لعناصر الحياة والقوة، فالشاعر مكسور الخاطر الحركة المفروضة على الحرف، وكذلك كلمات الدود والعنكبوت والقبر المهجور، تدل على العزلة، أي مفارقة الشاعر للحياة والنهاية المؤكدة، فكانت صورة القبر رمزا لحزن الشاعر العميق ومأساته الشخصية والذي كان يكتبه عندما كان يصارع المرض والموت المحيق (36).
يبدو ان السياب كان يعاني أيضا من الغربة الروحية على الرغم من شراسة مرضه الذي ربما عطل جزءا من تفكيره واغتال بعضا من وعيه، يقول:

يا غربة الروح في دنيا من الحجر
والثلج والقار والفول إذ والضجر
يا غربة الروح لا شمس فائتلق
فيها ولا افق
يطير فيه خيالي ساعة السحر(37)

كلمات حزينة تمثل حزن الشاعر، وغرابة الألفاظ دلالة ذلك الحزن الذي رافق حياة الشاعر، الحياة البائسة اليائسة التي رافقته من صغره حتى مرضه فموته لذلك جاءت غرابة الألفاظ لغرابة حياته.
وقد كتب في إحدى قصائده الأخيرة بطريقة البيت الشعري، يقول في مطلعها:

نفسي من الآمال خاوية جرداء لا ماء، ولا عشب
ما أرتجيه هو المحال وما لا أرتجيه هو الذي يجب (38)

تلك الأبيات هي إحدى علامات اغترابه الروحي الذي استدعى مثل هذا الجهد ليساويه في القوة والأثر.

الخاتمة

لقد كان للسياب اليد العليا في بناء الشعر الحديث شعر التفعيلة وقد شهد له بالبنان في ذلك، لكن مع ذلك تمسك بالأصول الأولى للشعر العربي وتأثر به تأثرا كبيرا والدراسات تشير إلى ذلك، تأثر بالشعراء في العصور التي سبقته وبألفاظهم الغريبة والتي تمثل حياته الغريبة التي عاشها، وربما كانت عملية تزاوج بين الألم وتلك الألفاظ وهذا ما لاحظناه في قصيدة (أنشودة المطر ومرحى غيلان، ونسيم القبر) وغيرها الكثير ونتيجة ذلك ولد لديه نظرة سوداوية للحياة وبئسا غير محدود هذا من ناحية.
ومن ناحية أخرى شكلت الغربة التي عاشها السياب أحد الأسباب التي دعته إلى كتابة أو انتقاء مثل تلك الألفاظ، فحتى لا تتحول الغربة عنده إلى شيء لا يطاق فقد سعى إلى تجاوزها أو التخفيف من أثارها على أقل تقدير من خلال اختياره لتلك الألفاظ كردة فعل للحنين إلى الوطن والطفولة واستعادة الماضي، وبناء المدن الحلمية، ولعل مرضه وما ألم به كان من بين الدوافع التي قادته إلى ذلك، فأصبحت لغة الشعر عنده مقترنة بتجربته ورؤيته للعألم وظروفه التي يعيشها.كتب في شعر الحنين والغربة والألم وكتب في الشعر السياسي والاجتماعي، الغزل أخذ مكانا عنده، العاطفة الابوية من خلال الحنين إلى فلذات كبده كل ذلك كتب السياب فيه، وغيره كثير، لكننا لم نراه قد استعمل المدح أو الهجاء أو غيرها من الأساليب المعروفة في الشعر العربي على الرغم من تأثره بالشعراء وبشعرهم. فالشاعر في كل ذلك قد عزل نفسه وشعره بأسلوبه الخاص واضعا له ركيزة أساسية منفردة.

الهوامش

رسائل السياب ماجد السامرائي:15
الإيقاع الحزين في شعر السياب مليكة فريجي، مجلة ثقافية فصلية 4212:10
ينظر السياب الدهشة تلد الحزن أولا للكاتب عبد مهلهل مقال من شبكة الانترنت: 21
قراءة في قصيدة (شباك وفيقة) نصير الشيخ، مجلة الناقد العراقي: 12
المصدر نفسه: 13
ينظر الايقاع الحزين: 12
الأسطورة في شعر السياب عبد الرضا علي: 78
ديوان بدر شاكر السياب: 317
ينظر الاغتراب ريتشارد: 317
ينظر غريب على الخليج بين الذات والمكان قراءة نفسية في قصيدة غريب غلى الخليج عمر صبحي :223
الديوان:318
المصدر نفسه: 320
ديوان عمر بن ابي ربيعة:179
ديوان النابغة: 180
ديوان السياب: 322
ديوان النابغة: 182
ديوان السياب: 325
ديوان السياب: 327
ديوان امرؤ القيس: 223

ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت: 186
ديوان السياب:328-329
ينظر مقالة بعنوان السياب بدر الشعر الذي لا ينطفئ، وفاء محمود العلي: 7
ديوان البحتري:212
ينظر ومضات ثقافية، عمر أبو الهيجاء، مجلة ثقافية عمان – الاردن: 117
ينظر الشاعر والناقد احمد الخطيب، مجلة رسائل الشعراء، المملكة المتحدة: 212
ينظر في حداثة النص الشعري علي جعفر العلاق: 156
ديوان السياب: 324
ينظر الايقاع الحزين في شعر السياب، مليكة فريجي، مجلة عود الند: 15
ديوان السياب: 448
المصدر السابق: 487-488
ينظر بدر شاكر السياب: 488
ينظر الايقاع الحزين في شعر السياب: 17
ديوان السياب: 449
التراث والتجديد في شعر السياب، عثمان حشلاف: 168
ديوان السياب 672
ينظر الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: 47
ديوان السياب: 677
المصدر نفسه:679

المصادر والمراجع

الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث سلمى الجيوسي، ترجمة عبد الوأحد لؤلؤ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2001.
التراث والتجديد في شعر السياب، دراسة تحليلية جمالية في: مواده، صوره، موسيقاه ولغته، عثمان حشلاف، 1986.
الأسطورة في شعر السياب عبد الرضا علي وزارة الثقافة والفنون 1978
الاغتراب ريتشارد شاخت، ترجمة وتحقيق كامل يوسف حسين، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت 186- 246هى دراسة وتبويب د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف و ط 2.
ديوان امرؤ القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط 5
ديوان بدر شاكر السياب – دار العودة، بيروت 1986.
ديوان عمر بن ابي ربيعة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار القلم، بيروت – لبنان
رسائل السياب ماجد السامرائي – دار الطليعة، بيروت، لات
غريب على الخليج بين الذات والمكان قراءة نفسية في قصيدة بدر شاكر السياب،عمر صبحي وزارة التربية والتعليم الاردنية – الاردن.
في حداثة النص الشعري علي جعفر العلاق دار الشروق للنشر والتوزيع 2003.

البحوث والمقالات

الشاعر احمد الخطيب، مجلة رسائل الشعر، الصادر المملكة المتحدة 2012
الايقاع الحزين في شعر السياب مليكة فريجي – الجزائر، مجلة ثقافية فصلية 4212- الناشر د. عدلي الهواري ع 54 – 2015.

السياب بدر الشعر الذي لا ينطفئ وفاء محمود العلي، مجلة ثقافية، 2005.
قراءة في قصيدة شباك وفيقة نصير الشيخ – مجلة الناقد العراقي،ع 2، 2010.
ومضات ثقافية عمر أبو الهيجاء، عمان – الاردن.